# الفصل الأول

## مفهوم المنهج المدرسي

### مفهوم المنهج التقليدي :

المنهج والمنهاج في اللغة ، لفظان مشتقان من النهج ، وهو الطريق الواضح ، يقول الحق تبارك وتعالى ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [ المائدة ، ٤٨ ] أي طريقة واضحة . وعلى ذلك فالمنهج لغوياً يعني وسيلة محددة ، توصل إلى غاية معينة[١] .

وفي الميدان التربوي استُخدم مصطلح المنهج بمعنى لا يختلف - في جوهره - عن المعنى اللغوي السابق ، من حيث كونه وسيلة منظمة ومحددة ، تساعد في الوصول إلى غاية منشودة .

وعند مراجعة الأدب التربوي نجد أن مفهوم المنهج المدرسي لدى المربين التقليديين كان مرادفاً للمعرفة ، دائراً في فلكها ؛ فالمنهج عندهم يمثل المقرر الدراسي الذي يدرسه المتعلم في أحد الصفوف الدراسية . وفي إطار هذا المضمون جاءت تعريفاتهم للمنهج بأنه مجموعة المقررات الدراسية التي يتولى المتخصصون إعدادها ، ويقوم المتعلمون بدراستها تحت إشراف المدرسة[٢] .

والحق أن هذا المفهوم الضيق للمنهج - الذي يعني المقررات الدراسية - قد نبع من التربية التقليدية التي كانت ترى أن الهدف الأسمى للتربية ( ينحصر في تزويد المتعلم بأكبر قدر ممكن من المعلومات، بحسبان أن المعرفة لها قيمة في ذاتها، وأن تزويد المتعلم بها يكفي وحده لتوجيه سلوكه بما يتفق مع مضمون هذه المعرفة . لذا جاء مفهوم المنهج مرادفاً للمعرفة . وانتشر هذا المفهوم التقليدي الضيق للمنهج ، وترسخت جذوره في كثير من الممارسات التربوية ، وظل يلعب دوراً كبيراً حتى عهد قريب ، بل ما يزال له أنصار يمارسونه عملياً في كثير من دول العالم ، وإن أخذوا نظرياً بالمفاهيم الحديثة للمنهج المدرسي .

### النقد الموجه للمنهج التقليدي

وجه المربون للمنهج التقليدي كثيراً من الانتقادات والمآخذ ؛ فهم يرون أن تطبيق هذا المنهج ترك آثاراً سلبية سيئة في الميدان التربوي ، ألقت بظلالها على كل من الطالب والمعلم والمادة الدراسية والمدرسة والبيئة المحلية .

وفيما يلي نُجمل تلك السلبيات في هذه النقاط:[٣]

(١) وجه المنهج المدرسي التقليدي اهتمامه إلى الجانب المعرفي في مستوياته الدنيا من تذكر وفهم ، وأغفل نواحي النمو الأخرى للمتعلم .

(٢) أهمل المنهج التقليدي حاجات المتعلمين وميولهم ، وما بينهم من فروق فردية متعددة ؛ فما على الطلاب إلا أن يدرسوا المادة الدراسية المفروضة عليهم ؛ ويحفظوها.

(٣) أغفل هذا المنهج دور القدوة والقيم التربوية في توجيه السلوك ؛ إذ يعتقد أنصاره أن تزويد المتعلمين بالمعارف يكفي وحده لتوجيه سلوكهم ، بما يتفق مع تلك المعارف ، وقد ثبت خطأ هذا الاعتقاد ؛ فالفرد لا يسلك في جميع الحالات وفقا لعلمه ومعرفته .

(٤) قتل المنهج التقليدي إبداع المعلم وقيَّد حريته ؛ فهو لا يتحرك إلا في إطار ضيق لا يتجاوز شرح الدروس وتلقينها للمتعلمين الذين يظلون سلبيين ، ينفذون أوامر المعلم دون نقاش .

(٥) اقتصر اختيار محتوى المادة الدراسية وتنظيمها - في كتب مدرسية - على المتخصصين والخبراء ، الذين لا يأخذون في حسبانهم وجهة نظر المعلمين والتلاميذ ، مما كان له أكبر الأثر في ضعف حماس المعلمين للتدريس ، وعزوف التلاميذ عن الدروس .

(٦) تركزت عناية المعلمين - في ظل المنهج التقليدي - على النواحي النظرية داخل الفصول الدراسية ، واستبعدوا معظم الأنشطة المدرسية غير الصفية ، بل عدوها مضيعة للوقت ، صارفة للتلاميذ عن الحفظ الذي يترتب عليه النجاح في الامتحانات ، وهو الهدف الأسمى للتقويم في مفهوم المنهج التقليدي.

(٧) انعزلت المدرسةُ عن الحياة ، واستنفدت طاقاتها في حفظ المعارف وتلقين الدروس التي قلما ترتبط بحياة التلاميذ وبيئتهم المحلية ، ولذلك لم تفلح المدرسة في إعداد هؤلاء للحياة والمشاركة في مجالات التقدم والتنمية التي يحتاج إليها المجتمع .

وهكذا نرى كيف ترك المنهج التقليدي آثاره السلبية على الممارسات التربوية، وكيف جعل المدرسة تخفق في أداء رسالتها نحو إعداد ناشئة المجتمع للحياة ، وكيف ضربت على نفسها عزلة حالت بينها وبين الوفاء بمسئولياتها تجاه تربية الأجيال تربية تنسجم مع واقعهم ، وتساير عصرهم ، وتلبي متطلباتهم ، وطموحات مجتمعاتهم .

## العوامل التي أدت إلى تطور مفهوم المنهج

نتيجة لتلك المآخذ على التربية التقليدية ، وما أفرزته من سلبيات ، ظهرت آراء تربوية مغايرة لما كان سائداً آنذاك ، وجُّهت النظَر نحو المتعلم نفسه ، وبذلك انتقل محور الاهتمام من المعرفة إلى المتعلم ، ومن عملية التعليم إلى عملية التعلم ، الأمر الذي أدى إلى تطور كبير في مفهوم التربية وأهدافها ومضامينها ، تبعه تغير في وظيفة المدرسة ، وأدوار المعلم ، ومفهوم المنهج .

وقد أسهمت في تطور مفهوم المنهج المدرسي مجموعة من العوامل ، نجملها في النقاط التالية[٤] :

(١) التطورات التي حدثت في كافة مجالات الحياة . العلمية والتقنية والثقافية والاجتماعية . وما ترتب عليها من تأثير في أساليب الحياة ، وقيم المجتمعات . أدى كل ذلك إلى إعادة النظر في مفهوم المنهج لكي يواكب تلك التطورات التي تنتظم جميع جوانب الحياة .

(٢) التغير الذي طرأ على أهداف التربية ووظيفة المدرسة ومهام المعلم ، نتيجة للتطور الذي حدث في أحوال المجتمع واحتياجاته في العصر الحديث ، إذ لم تعد غاية التربية الكبرى قاصرة على حفظ التراث الثقافي ونقله من جيل إلى آخر ، وإنما غدت التربية صانعة للتطور وصائغة للمستقبل بحول الله وقوته .

(٣) التطور الكبير الذي حدث في ميادين العلوم المختلفة ، ولا سيما في ميدان التربية وعلم النفس ، والذي غيَّر كثيراً مما كان سائداً عن طبيعة عملية التعلم والتعليم ، وطبيعة المتعلم ومراحل نموه وخصائص كل مرحلة ومتطلباتها .

(٤) نتائج البحوث التي تناولت المنهج المدرسي القديم ، والتي أظهرت كثيراً من جوانب القصور والضعف التي تركت آثاراً سلبية على العملية التعليمية، فجميع تلك العوامل أدت إلى إعادة النظر في المفهوم التقليدي الضيق للمنهج ، وجعلت التربويين يفكرون بجدية في إيجاد مفاهيم حديثة للمنهج تواكب تلك التطورات .

## مفهوم المنهج الحديث

أدت تلك التحولات المتلاحقة إلى ظهور مفاهيم جديدة للمنهج المدرسي ، تختلف في مضمونها عن تلك المفاهيم التقليدية التي كانت سائدة آنذاك ، والتي لم تعد مناسبة للأدوار المتوقعة من التربية من جهة ، ولا منسجمة مع طبيعة الحياة المعاصره وإيقاعها سريع التغير من جهة أخرى .

وفيما يلي نذكر ثلاثة من تلك المفاهيم الحديثة للمنهج المدرسي ، لنرى مدى التطور الذي حدث في مفهوم المنهج ومضمونه، استجابة لتلك العوامل التي أشرنا إليها:

(١) المنهج هو جميع الخبرات المخططة التي تقدمها المدرسة لمساعدة التلاميذ على تحصيل مخرجات تعليمية محددة ، بأقصى ما تمكنهم قدراتهم[٥] .

(٢) المنهج هو كل نشاط هادف تقدمه المدرسة وتنظمه وتشرف عليه ، وتكون مسئولة عنه ، سواء تم داخل المدرسة أو خارجها[٦] .

(٣) المنهج هو مجموعة الخبرات والأنشطة التي تقدمها المدرسة للتلاميذ داخلها وخارجها ، بقصد مساعدتهم على النمو الشامل المتكامل ، الذي يؤدي إلى تعديل سلوكهم ، ويضمن تفاعلهم مع بيئتهم ومجتمعهم ، ويجعلهم يبتكرون حلولاً مناسبة لما يواجههم من مشكلات.

بإمعان النظر في هذه التعريفات - ولا سيما الأخير منها - يمكن الخروج بملاحظات عديدة ، نذكر أهمها في الآتي :

(أ) يتضمن المنهج – بمفهومه الحديث - خبرات تربوية مفيدة ، يتم تصميمها تحت إشراف المدرسة، لإكساب المتعلمين مجموعة من المعلومات والمهارات والاتجاهات المرغوب فيها .

(ب) تتنوع الخبرات التربوية بتنوع الجوانب التي ترغب المدرسة في إحداث النمو فيها ، ولا تركز على جانب واحد من جوانب النمو ، كما كان يحدث في المنهج التقليدي .

(ج) يحدث التعلم من خلال مرور المتعلم بخبرات متعددة ، ومشاركته في مواقف تعليمية متنوعة ، ولا يكون سلبياً في تلقيه المعرفة ، وإنما يصبح إيجابياً نشطاً متفاعلاً يسعى بنفسه للحصول على المعارف والمهارات المنشودة .

(د) لا تقتصر بيئة التعلم على حجرة الدراسة أو فناء المدرسة ، وإنما تمتد إلى خارجهما ؛ فتشمل المصنع والحقل والرحلة والمكتبة وغيرها مما يمثل بيئة مناسبة للتعليم .

(هـ) يسعى المنهج الحديث إلى إحداث النمو الشامل المتكامل للمتعلم ، والذي يؤدي إلى تعديل سلوكه ؛ أي إلى تعلمه ، وحصيلة هذا التعلم تساعد على تفاعل المتعلم بنجاح مع بيئته ومجتمعه .

(و) وأخيراً يهدف المنهج الحديث إلى أن يُعْمِلَ المتعلمُ عقله ويبذل جهده في مواجهة المشكلات التي تعترض سبيله، ويحاول ابتكار حلول مناسبة لها. وهذا يعني أن القيمة الحقيقة لما يكتسبه المتعلم من معارف ومهارات، إنما تتوقف على مدى استخدامه لها، وإفادته منها في المواقف الحياتية المختلفة .

وهكذا يتبين لنا أن المفهوم الحديث للمنهج المدرسي بدا أكثر شمولاً وسعة من المفهوم التقليدي ؛ من حيث تنوع الخبرات المربية ، وتعدد جوانب النمو ، والعمليات العقلية المستهدفة ، ودور المعلم والمدرسة إزاء ذلك كله . مما يعني أن أهداف المنهج الحديث لا تقتصر على المعرفة فحسب ، وإنما تمتد لتشمل جميع جوانب المتعلم الأخرى المهارية والوجدانية . هذا ولا يقتصر المنهج بمفهومه الحديث الواسع على المقررات الدراسية ، وإنما يشتمل على مجموعة المكونات المترابطة التي يؤثر كل واحد منها في الآخر ويتأثر به ، وهي: الأهداف ، والمحتوى، وطرق التدريس ، والوسائل التعليمية ، والأنشطة التعليمية ، والتقويم .

ولعل الشكل التالي[1] يبرز مدى الترابط والتكامل الحادث بين مكونات المنهج المدرسي بمفهومه الحديث الذي نتبناه في هذا الكتاب .

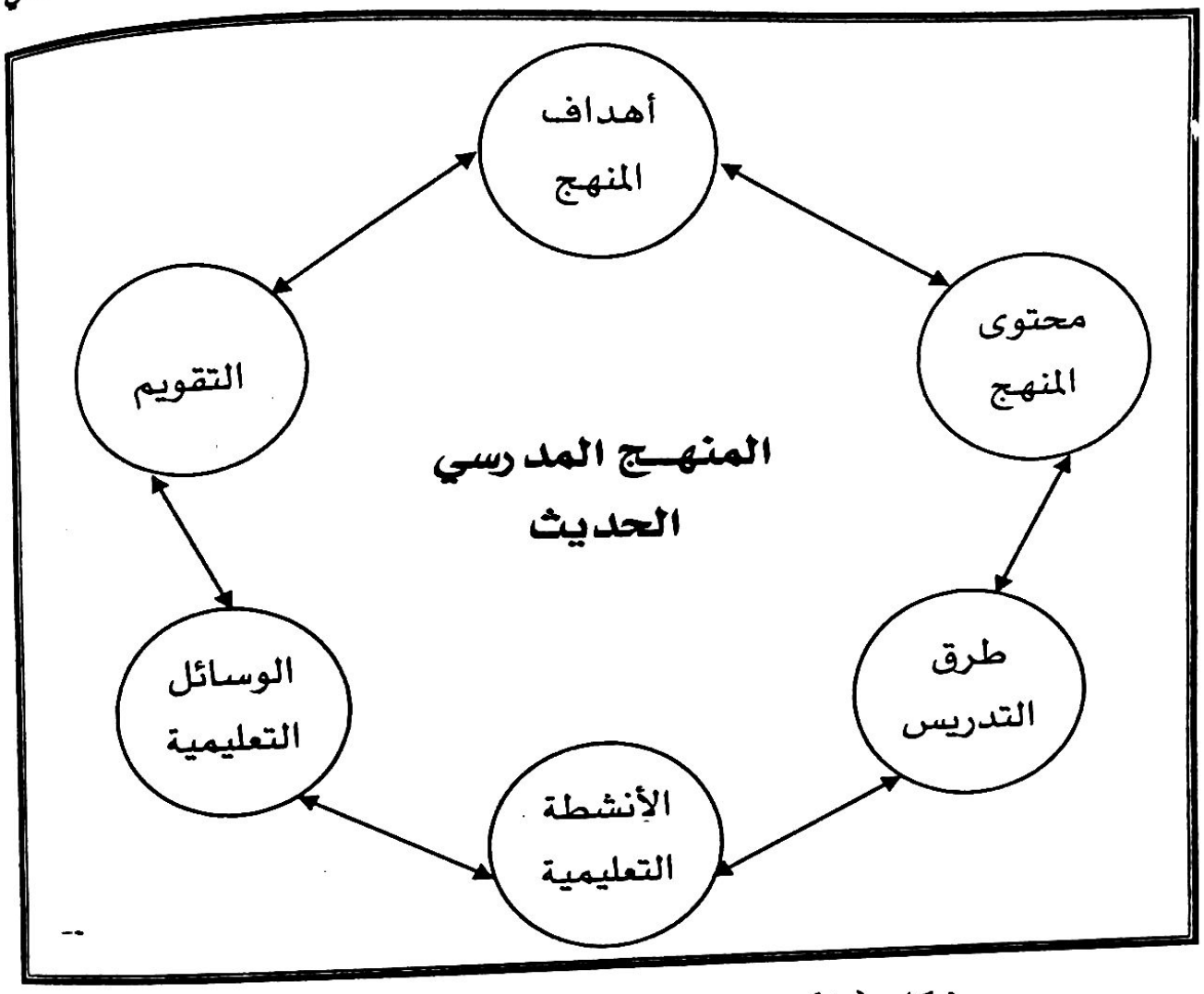


**شكل (١) مكونات المنهج المدرسي الحديث**

## — مفهوم المنهج بوصفه نظاماً

إنَّ تطبيق فكرة النظام في ميدان المناهج تجعلنا ننظر إلى المنهج على أنه بجميع مكوناته ( نظام ) متكامل. وبمقتضى ذلك فإن جميع تلك المكونات يرتبط بعضها ببعض ؛ فهي تعمل ككل متكامل، بحيث لا تنفصل الأهداف في المنهج عن المحتوى أو طرق التدريس أو النشاطات أو الوسائل أو أساليب التقويم . والمنهج بوصفه نظاماً يدخل عنصراً أساسياً في نظام أكبر هو التربية التي تعد جزءاً من نظام أكبر هو المجتمع . وعلى هذا يمكن تعريف النظام بأنه « مجموعة من المكونات أو الأعضاء

أو الجزئيات التي تؤدي معاً مجموعة من الوظائف المكملة لبعضها البعض ؛ بحيث تتآزر معا ، وتؤدي جميعها إلى عمل النظام الأكبر بشكل جيد )) [٧] .

وفي ضوء ذلك يمكن تبسيط مفهوم المنهج بوصفه نظاماً (System) تربوياً بالنظر إلى أن هذا النظام - وفقاً لأسلوب النظم - يتكون من مدخلات ، وعمليات ، ومخرجات ، وتغذية راجعة . ولعلنا نلحظ أن المنهج بوصفه نظاماً يشبه - إلى حد كبير - ما يحدث في المصانع التي تتعامل مع الأشياء المحسوسة ؛ ففي مصنع للورق - مثلاً - توجد (المدخلات) التي تتمثل في المواد الخام ، وهي نوعية الأخشاب ، ثم تمر هذه المواد الخام ( بعمليات ) معينة داخل المصنع لتؤدي – بعد ذلك – إلى (المخرجات) وهي نوع الورق المنتج من المصنع ، والذي يخضع للفحص والتقويم بغرض التأكد من مدى جودته ، وإلا أعيد النظر في المدخلات والعمليات إذا لم تكن المخرجات ( الورق ) بالمواصفات المطلوبة . وهذه العملية الأخيرة تعرف بالتغذية الراجعة (Feed back). والشكل التالي (٢) يوضح فكرة النظام ومكوناته .

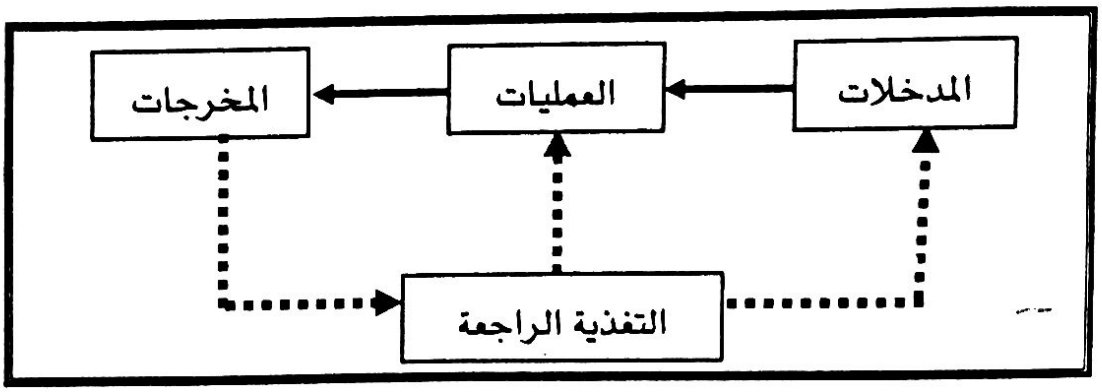


**شكل (٢) مكونات النظام**

هذا ويمكن القول بأن المنهج المدرسي - في ضوء أسلوب النظم - يتكون من ثلاثة عناصر أساسية هي : المدخلات والعمليات والمخرجات ، ويصحب هذه العناصر عنصر رابع مهم هو التغذية الراجعة . وفيما يلي شرح موجز لكل منها[٨] :

**أولاً : المدخلات :**

تتكون مدخلات المنهج المدرسي - بوصفه نظاماً - من جميع مصادر تصميم المنهج ؛ كالأهداف ، والمحتوى الدراسي (الكتب المدرسية) والوسائل التعليمية ، والمعلمين ، والمديرين ، والموجهين ، والمباني والتجهيزات المدرسية ونحو ذلك .

فهذه المدخلات جميعها يجب أن تكون مواصفاتها مناسبة للمخرجات من جهة، ولا بد أن تتفاعل فيما بينها لبلوغ تلك المخرجات من جهة أخرى. فإذا توافرت المدخلات المناسبة لنظام المنهج من أهداف وإمكانات مادية، وكان المعلم - على سبيل المثال - غير معد إعداداً جيداً فإن ذلك يؤثر على المخرجات ، ولهذا فإن النظرة النظامية تسمح لنا بإعادة النظر في نوعية المدخلات - بصورة مستدامة - في ضوء المخرجات المطلوبة .

## ثانياً : العمليات :

ويُقصد بها تلك التفاعلات التي تحدث بين المدخلات لإنتاج المخرجات ، وتتمثل هذه التفاعلات في خطوات إنتاج المنهج المدرسي ابتداء من تخطيطه، ومروراً بتنفيذه ، وانتهاءً بتقويمه وتطويره ومتابعته .

وفي هذه العمليات يتم حساب كل ما يلزم من أجل إنتاج منهج فعال ، وتوفير كل جهد وإمكانات في سبيل ذلك . فإذا أُعِدَّ المنهج بالصورة المثلى المطلوبة ، خضع للتجريب والمراجعة قبل أن يأخذ طريقه إلى التنفيذ.

## ثالثاً : المخرجات :

بعد أن يتم تطبيق المنهج لا بد من التأكد أولاً من أن المتعلمين (المخرجات) قد بلغوا الأهداف المحددة سلفاً ، والتأكد ثانياً من أن المدخلات كانت مناسبة لتلك المخرجات .

ولا يتم الحكم على النتاجات التربوية المتمثلة في الأهداف الخاصة بالنمو الشامل والمتكامل للمتعلمين بمعزل عن أهداف النظام التربوي ككل ، لأن ثمة أهدافاً أخرى للمنهج غير نمو للمتعلمين لا بد أن تُراعى ، مثل زيادة كفاءة المعلمين وخبرتهم في استخدام المواد التعليمية الجديدة ، وزيادة كفاءتهم بأساليب التقويم وأدواته من اختبارات تحصيلية وتشخيصية . فهذه الأهداف كلها يجب أن تؤخذ في الحسبان عند تقويمنا للمنهج بعد تنفيذه .

## رابعاً : التغذية الراجعة :

وتهدف التغذية الراجعة إلى التأكد من أن المخرجات التي تم الحصول عليها كانت مناسبة لكل من المدخلات والعمليات ، أو أنها تحتاج إلى تعديلات أو إضافات لتحسين نوعية المخرجات ، كتطوير مهارات المعلمين ، أو مهارات المديرين والموجهين ،

أو تطوير نوعية المواد التعليمية اللازمة ، أو إثراء الكتب المدرسية بالأنشطة والتمارين ، وكل هذه العناصر تخضع للمراجعة من أجل أن تصبح في أفضل صورة ممكنة لبلوغ المخرجات المطلوبة .

وتلخيصاً لمكونات النظام السابقة ، يمكن أن نَعُدَّ الأهداف والمحتوى والوسائل التعليمية والمباني والتجهيزات المدرسية والمتعلمين والمعلمين ونحو ذلك ، (مدخلات) المنهج ، ونعد ما يقوم به المعلم من أدوار وأساليب تدريسية ، وما تنظمه المدرسة من نشاطات وما تهيؤه من ظروف مواتية للتعلم (العمليات) ، أما ( مخرجات ) المنهج ، فتتمثل فيما يحققه المتعلمون من تعلم ونمو ، أي إنجاز الأهداف . أما التغذية الراجعة فتلعب - في إطار منظومة المنهج - دوراً مهماً ؛ إذ عن طريقها يتم فحص مخرجات المنهج من حين إلى آخر ، وإجراء التعديلات المطلوبة ، بغية تحسين المخرجات[٩] ؛ كأن يتم إكساب المعلمين مهارات معينة ، أو تدريب الموجهين والمديرين على أدوار ومهام محددة ، أو إعداد كتب مدرسية ذات مواصفات حديثة ، إلى غير ذلك من إجراءات .

## بعض المفاهيم المرتبطة بمفهوم المنهج

بقي - في نهاية هذا الفصل - أن نوضح بعض المفاهيم ذات العلاقة بالمنهج المدرسي ، والتي يحدث فيها خلط كبير في الوسط التربوي . ومن أهم تلك المفاهيم : المنهج الرسمي والخفي ، المقرر ، المحتوى ، الكتاب ، الخبرة . وفيما يلي بيان لكل منها :

### (١) المنهج الرسمي والخفي :

غني عن البيان أن المتعلمين يكتسبون مجموعة من الخبرات المربية (المعارف والمهارات والاتجاهات والقيم وأنماط السلوك) من خلال المنهج المدرسي المعلن الذي تحدثنا عن مفهومه ومكوناته فيما سبق، إلا أن قدراً يسيراً أو كثيراً من تلك الخبرات يتم اكتسابه من مصادر غير المنهج المدرسي الرسمي أو المخطط له . وهذا النوع من المناهج يُسمَّى بالمنهج الخفي، أو غير الرسمي (Hidden Curriculum) . وهو منهج بدأ الاهتمام به في منتصف الستينيات من القرن الميلادي السابق، بهدف الكشف عن الدور الخفي الذي تقوم من خلاله المدرسة بغرس القيم لدى الطلاب بدون قصد وتخطيط[١٠].